كُن إنساناً جَديداً في العَام الجديد

في مناسبات العام الجديد، أحب أن أقول أن العام الجديد، ليس هو مجرد عام جديد في التقويم ، ننتقل فيه من عام ٢٠٠١ إلى ٢٠٠٢ إنما يجب أن يكون جديداً في حياتنا .

والكتاب المقدس تحدث عن نواح كثيرة من التجديد :

منها تجديد الذهن، وتجديد القلب والروح، وتجديد الطبيعة، وتجديد للحياة، وتجديد القوة. كما تكلم عن العهد الجديد ...

ومن عبارات الكتاب التي أحب أن تذكروها في هذه المناسبة، ما وعد به الرب في سفر حزقيال النبي، إذ قال فيه :

"..أعطيكم قلباً جديداً، وأجعل روحاً جديداً في داخلكم . وأنزع قلب الحجر من لحمكم، وأعطيكم قلب لحم. وأجعل روحي في داخلكم. وأجعلكم تسلكون في فرائضي وتحفظون أحكامي" (حز ٣٦: ٢٦، ٢٧) .

طبعاً يعطينا قلباً جديداً، بكل ما يحمل هذا القلب من مشاعر جديدة، وبكل انفعالاته وإحساساته .

فالذي يستقبل العام الجديد، بغير قلب جديد، أي شئ سيستفيد؟!

سيكون احتفاله بالعيد ، كما يحتفل به أهل العالم.. مجرد بهجة عالمية، وزهور وأنوار، وزينة وهدايا، وتبادل للتهاني. ولا علاقة للعيد بحياة الروح !!

ليتنا نطلب من الرب أن يمنحنا وعده القائل "أعطيكم قلباً جديداً وروحاً جديداً" . هذا الذي نطلبه في المزمور الخمسين كل يوم قائلين : "قلباً نقياً إخلق فيّ يا الله. وروحاً مستقيماً جدده في أحشائي"

أى أنك إن لم تصل إلى هذا القلب، اطلبه منحة من الله، يخلقه فيك خلقاً. فلا تعيش فى العام الجديد بنفس القلب القديم، وبنفس ما فيه من اخطاء ...

✠ ✠ ✠

نتحدث الان عن عوامل التجديد التى مرت بنا فى حياتنا :

أولها : كان تجديد الطبيعة الذى نلناه فى المعمودية .

فى المعمودية نأخذ طبيعة جديدة لم تكن لنا. نخلع الإنسان العتيق فيموت على شبه موت المسيح. كما يقول الرسول "عالمين هذا أن إنساننا العتيق قد صُلب معه ليبطل جسد الخطية" "فُدفنّا معه للموت" (رو٦: ٦، ٤) . ويقول فى موضع آخر "مدفونين معه بالمعمودية التى فيها أقمتم أيضاً معه" (كو٢: ١٢) . وإذ قد دُفن إنساننا العتيق، يقوم إنسان جديد على شبه المسيح أيضاً. كما يقول الرسول :

"لأن جميعكم الذين اعتمدتم للمسيح، قد لبستم المسيح" (غل٣: ٢٧) .

فما معنى عبارة ليبتم المسيح؟ معناها أنكم لبستم الطبيعة التي للمسيح في نقاوتها وقداسته وبره . لذلك فإن المعمّد حينما يخرج من جرن المعمودية، يخرج إنساناً جديداً بلا خطية، قد نال التبرير في المعمودية، وأخذ طبيعة جديدة، نالت الغفران الكامل ونالت الخلاص ولهذا يقول الرسول "..لا بأعمال في بر عملناها، بل بمقتضى رحمته خلصنا: بغسل الميلاد الثاني، وتجديد الروح القدس" (تي٣: ٥) .

هذا التجديد نلناه في المعمودية بغسلنا من جميع خطايانا ومنحنا البنوة ...

كما قال حنانيا الدمشقي لشاول الطرسوسي بعد دعوته : "أيها الأخ شاول، لماذا تتواني ؟ قم اعتمد واغسل خطاياك" (أع٢٢: ١٦). وكما قال القديس بطرس الرسول لليهود في يوم الخمسين "توبوا، وليعتمد كل واحد منكم على إسم يسوع المسيح لغفران الخطايا، فتقبلوا عطية الروح القدس" (أع٢: ٣٨) .

وهنا نرى الشئ الجديد الثاني الذي نلناه في المسيحية . فما هو؟

* * *

نلنا التقديس في سر المسحة المقدسة (سر الميرون)، وسكنى الروح القدس فينا، وشركة الروح القدس معنا .

نلنا التقديس بسكنى الروح القدس فينا، كما يقول الرسول أيضا "أما تعلمون أنكم هيكل الله، وروح الله يسكن فيكم" (١كو٣: ١٦) . لاشك أنه شئ جديد تقدمه المسيحية: أن يصير الإنسان هيكلاً لله، وروح الله يسكن فيه. وما نتيجة سكنى روح الله فينا ؟

النتيجة أننا ندخل في "شركة الروح القدس" (٢كو١٣: ١٤) .

وهذا أيضاً شئ جديد، لم نسمع عنه من قبل .

بل أكثر من هذا عبارة "شركاء الطبيعة الإلهية" (٢بط١: ٤) . والمقصود هو أننا نشترك مع الطبيعة الإلهية في العمل. نشترك مع الروح القدس في العمل. كما قال القديس بولس الرسول عن نفسه وعن أبولس شريكه في الخدمة "نحن عاملان مع الله" (١كو٣:٩)

فهل أنت يا أخي في العام الجديد، ستحتفظ بشركتك مع الروح القدس في العمل، وتستمر في عملك شريكاً للطبيعة الإلهية؟ كما يصلي الأب الكاهن في أوشية المسافرين قائلاً للرب "اشترك في العمل مع عبيدك، في كل عمل صالح" . نعم، كل عمل لا يشترك فيه معك روح الله، حذار أن تعمله ..

تعبير جميل وحلو، هو "شركة الروح القدس" . فليستمر معنا طوال العام الجديد. وماذا أيضاً في التجديد الذي يريده الرب لنا؟

يقول الكتاب : "تغيروا عن شكلكم بتجديد أذهانكم" (رو١٢: ٢)

فما معنى "تجديد الذهن" ؟ معناه تجديد نظرتك للأمور .. تغيير فكرك عن معنى القوة، ومعنى الحرية، ومعنى السعادة والفرح واللذة.. بحيث لا يتركز كل هذا حول الذات والمادة .. تجديد الذهن معناه أن يكون لك فكر جديد، بمبادئ جديدة سليمة، بعيدة عن الفكر الخاطئ القديم ...

تجدد ذهنك ، بمعنى أن يكون لك "فكر المسيح" (١كو٢: ١٦).. وذلك بأن ينشغل فكرك بأمور طاهرة ، بدلاً من السرحان في فكر الخطية . وكذلك بأن يكون لك الفكر العادل ، والفكر الروحي، والحكم السليم على شتى الأمور ... وإن كانت لك مبادئ خاطئة ، أو معتقدات خاطئة، عليك أن تغيرها ...

وماذا أيضاً عن التجديد في العام الجديد ؟

هناك أيضاً تجديد القوة ، بمعونة من الرب .

هذا الذى قيل عنه فى سفر اشعياء النبى "يعطى المعيى قدرة. ولعديم القوة يكثر شدة .. الفتيان يتعثرون تعثراً . أما منتظرو الرب، فيجددون قوة. يرفعون أجنحة كالنسور. يركضون ولا يتعبون. يمشون ولا يعيون" (أش٤٠: ٢٩- ٣١) .. فلا يقل أحد إني ضعيف، لا أستطيع! وإنما يمتلئ قلبه بالرجاء، متذكراً قول المزمور "يجدد مثل النسر شبابك" (مز١٠٣: ٥) .

وليس هذا فقط من جهة القوة الجسدية، بل القوة الروحية أيضاً .

أما عن القوة الجسدية وتجديدها، فمثالها شمشون الجبار الذى فقد قوته بعد أن حلقوا له خصل شعره وبدأوا بإذلاله ففارقته قوته (قض١٦: ٩) . ولكن الله جدّد له قوته، حينما صلّى وقال "يا سيدى الرب، أذكرني وشددني يا الله هذه المرة". فقبض على العمودين المتوسطين اللذين كان البيت قائماً عليهما.. وانحنى بقوة فسقط البيت.." (قض١٦: ٢٨- ٣٠) .

ولكن المهم فى العام الجديد ، هو تجديد القوة الروحية .

القوة التى كانت لك فى القديم، فى أيام التوبة الأولى والدموع والحرارة الروحية. القوة التى كانت فى الإيمان العملى، القوة التى كانت فى حياة التدقيق ، وحياة الجدية والإلتزام..

اطلب من الله القوى المحب أن يجددها لك .

واطلب من الله أن يجدد هذه القوة للكنيسة كلها .

يجدد لها القوة التى كانت لها أيام الاستشهاد، حينما كانوا يستقبلون الموت بفرح، ويسعون إليه فى اشتياق، حتى الاطفال ..

اطلب قوة يجددك بها الرب من الداخل .

كما قال الرسول "إن كان إنساننا الخارج يفنى، فالداخل يتجدد يوماً فيوماً" (٢كو٤: ١٦) .. يجدد الرب حماسك الداخلي للعمل الروحي، واشتياقك الداخلي للحياة مع الله والالتصاق به. يجدد انحصار ذهنك في الأبدية واهتمامك بالأمور التي لا تُرى" (٢كو٤: ١٨) .

في مجال التجديد والتغيير إلى أفضل يذكر لنا الكتاب والتاريخ أمثلة كثيرة نضع في مقدمتها شاول الطرسوسي الذي تجدد فصار بولس الرسول .

كان ينفث تهديداً وقتلاً على تلاميذ الرب" ويجر رجالاً ونساء موثقين إلى أورشليم" (أع٩: ١، ٢) . وهو قال عن نفسه "أنا الذي كنت قبلاً مجدفاً ومضطهداً ومفترياً" (١تي١: ١٣). كيف تحول إلى إنسان جديد تماماً، إلى رسول للمسيحية تعب أكثر من جميع الرسل (١كو١٥: ١٠) "في الأتعاب أكثر، في الضربات أوفر، في السجون أكثر. في الميتات مراراً كثيرة" (٢كو١١: ٢٣) .

أريانوس والي أنصنا، الذي كان أقسى الولاة وأعنفهم في تعذيب الشهداء، أدركه التجديد أيضاً، فآمن وصار شهيداً . كذلك لونجينوس الذي طعن المسيح بالحربة، له يومان في السنكسار تذكره فيهما الكنيسة كقديس .

ومن أجمل القصص تلك القصة التي تروى عن أحد الجنود الذين اقتسموا ثياب المسيح :

قال : كنت جندياً رومانياً من الجنود الذين اشتركوا في صلب يسوع الناصري . واقتسمنا ثيابه بيننا، فوقع حذاؤه من قرعتي. فلبسته. وأخذ هذا الحذاء يقودني إلى طرق ما كنت أمشي فيها من قبل. حتى أوصلني إلى جبل الزيتون وبستان جثسيماني وأنا الذي ما كنت أعرف الصلاة، وجدتني راكعاً عند إحدى الأشجار أصلي.

المسيحية أعطتنا أمثلة في التجديد والتغيير، في تلاميذ المسيح

هؤلاء الذين كانوا خائفين ، وهربوا وقت القبض على معلمهم، واختفوا في العلية ما يستطيعون الظهور، ومنهم بطرس الذي أنكر الرب ثلاث مرات أمام جارية.. هؤلاء جدد الرب طبيعتهم . فصاروا شجعاناً في الكرازة ، بكل مجاهرة، يقولون لرؤساء اليهود "ينبغي أن يطاع الله أكثر من الناس" (أع٥: ٢٩) . لقد نالوا قوة

الوحيد الذى تبغضه ، هو الشيطان ...

مبادئ وعقائد جديدة قدمتها المسيحية .

مثل سرّ الإفخارستيا وسر الفداء الذى كانت رموز فى العهد القديم لم يفهمها اليهود، وحتى الآن لا يفهمونها. وعبارة الله محبة. من يثبت فى المحبة، يثبت فى الله، والله فيه" (١يو٤: ١٦). كلها مبادئ جديدة، يمثلها "العهد الجديد" بين الله والناس. ومنها أيضاً مواهب الروح القدس (١كو١٢) ...

كذلك من الأشياء الجديدة المتعة فى الأبدية .

ويكفى فى شرحها عبارة "ما لم تره عين، ولم تسمع به أذن، ولم يخطر على بال إنسان، ما أعده الله للذين يحبونه" (١كو٢: ٩). يضاف إلى هذا الجسد السماوى الروحانى الذى نقام به من الموت (١كو١٥: ٤٢- ٥٠) . والوعود التى بها وعد الرب ملائكة الكنائس السبع بأن يمنحها للغالبين (رؤ٢، ٣). كلها أمور جديدة .

* * *

مادام الأمر هكذا، فاستعد فى العام الجديد، بالصورة الإلهية التى تؤهلك للأبدية السعيدة وللوعود المعطاة للغالبين .

وفى مطالب الكمال الموضوع أمامك (مت٥: ٤٨) ، ردد باستمرار أنشودة:

"استطيع كل شئ، فى المسيح الذى يقوينى" (فى٤: ١٣) .

يمكنك إذن أن تنتصر فى كل حروبك الروحية ، بالمسيح الذى يقويك . اذكر أيضاً قول السيد الرب "كل شئ مستطاع للمؤمن" (مر٩: ٢٣) . وإن وضع الشيطان أمامك جبالاً من العوائق، اذكر قول الرب فى سفر زكريا النبى: "من أنت أيها الجبل العظيم؟ أمام زربابل تصير سهلاً" (زك٤: ٧) .

وليكن الرب معك، ويصيرك إنساناً جديداً، فى هذا العام الجديد.

إنما يجب أن تسلك بجدية وبالتزام .